

الدرس الثامن: اقتراب النخبة

- أهداف الدرس:

- التعرف على نشأة وتطور اقتراب النخبة، مع بيان المقصود بالنخبة وتحديد خصائصها، وأهم افتراضات ومبادئ اقتراب النخبة، مع توضيح اتجاهات دراسة النخبة، وتبيان الكيفية التي تحدد بها النخبة وتحليلها، وإبراز أهم أنواع النخب، وشرح إقترابات دراسة النخبة الأساسية، وأخيرا تقييمه.

- أسئلة الدرس:

- كيف نشأ وتطور اقتراب النخبة؟
- ما المقصود بالنخبة وما هي خصائصها؟
- ما هي افتراضات اقتراب النخبة؟
- ما هي مبادئ اقتراب النخبة؟
- ما هي اتجاهات دراسة النخبة؟
- ما هي الكيفية التي تحدد بها النخبة وتحليله؟
- ما هي أنواع النخب؟
- ما هي إقترابات دراسة النخبة الأساسية؟
- ما تقييم اقتراب النخبة؟

- عناصر الدرس:

- 1- نشأة وتطور اقتراب النخبة
- 2- تعريف النخبة
- 3- خصائص النخبة
- 4- افتراضات اقتراب النخبة
- 5- مبادئ اقتراب النخبة
- 6- اتجاهات دراسة النخبة
- 7- تحديد النخبة وتحليلها
- 8- أنواع النخب
- 9- إقترابات دراسة النخبة
- 10- تقييم اقتراب النخبة

تمهيد:

يعتبر اقتراب النخبة أحد نظريات المرحلة الانتقالية ما بين التقليدية والسلوكية، وان كانت قد استطاعت الاستمرار والحفاظ على الحيوية المنهجية والاقتدار التحليلي طوال المرحلة السلوكية وما بعدها، وذلك لما تتميز به من دقة في تحديد المدخل المناسب لفهم ظواهر النظم السياسية وتحليلها، وعلى ذلك يعد اقتراب النخبة تحدياً للاقتراب القانوني بتركيزه على سلوك عدد صغير من صناع القرار وليس على مؤسسات الحكم، كما يتحدى اقتراب الجماعة من حيث إبراز نفوذ وتأثير جماعة واحدة بعينها والتي تصنع القرارات.

1- نشأة وتطور اقتراب النخبة: ترجع فكرة النخبة إلى عهود قديمة، وبالتحديد إلى بدايات التفكير السياسي عند الإغريق، وبحثهم عن أفضل نظام حكم، فقد امتدح "أفلاطون الحكام الفلاسفة، ودعا إلى ضرورة الجمع بين الحكم والفلسفة لبناء الدولة، في حين دافع أرسطو عن النظام الأرستقراطي، واعتبر أن الطبقة الوسطى أنسب طبقة للحكم، وتم طرح المفهوم لدى ميكيافيلي وكتاب العقد الاجتماعي هوبز، ولوك وروسو، كما تطرق تاريخ الفكر الإسلامي عبر العديد من المفكرين أمثال الماوردي، بن أبي الربيع، عبد الرحمن بن خلدون وغيرهم. ويعتبر (سان سيمون) أول من وضع أسس هذا المنهج في العصر الحديث، وقد نظر إلى المجتمع كهرم، توجد في قمته صفة سياسية، وعلى ذلك لا يمكن إجراء أي إصلاح في المجتمع إلا بتغيير النخبة، لذا ينبغي حسب سيمون أن تسند مهمة الحكم إلى العلماء والفنانين وكبار الصناعيين، بمعنى أن يكون معيار النخبة الحاكمة هو الكفاءة والخبرة وليس الانتماء والولاء.

2- تعريف النخبة: مفهوم النخبة (أو الصفة) يشير بشكل عام إلى الطبقة الحاكمة بشكل مباشر أي إلى تلك التي تتمتع بالنفوذ السياسي والقوة السياسية وتتمتع بمزايا اجتماعية رفيعة بناء على مركزها السياسي المتميز في المجتمع، وهي التي تدير وتوجه الطبقة المحكومة وتخضعها لتوجيهاتها وقيادتها بطريقة تبدو بمظهرها شرعية وفي جوهرها قسرية أو تعسفية، أو كما يعرفها هارولد لاسويل بأنها: "جماعة قليلة العدد من أفراد الشعب، تملك معظم مصادر الإنتاج في الدولة، وتحصل على أكثر شيء يمكن الحصول عليه من المجتمع كالقوة الاقتصادية الصناعية والزراعية والمكانة الاجتماعية والقوة السياسية وما ستجنيه هذه القوة من فوائد شتى".

ويعرف باريتو النخبة على أنها: "جماعة صغيرة ومميزة في المجتمع تصعد درجات سلم السيطرة والحكم لاتصافها بصفات محددة، هي التي تؤهلها لاحتلال هذه المكانة، ولكنها مدعوة إلى الزوال بفعل آثار التغيير الاجتماعي المستمر إذ تظهر نخبة جديدة تتحداها بفضل اكتسابها صفات مميزة محددة تتماشى مع متطلبات الأوضاع الجديدة فتزيحها وتحل مكانها". فالنخبة وفق تصور باريتو هي طبقة من الناس لديها أعلى المؤشرات المتعلقة بنشاطها ويميز بين شكلين من أشكال النخب:

- نخبة حاكمة: وهي التي تمارس الحكم بشكل مباشر أو غير مباشر

- نخبة غير حاكمة: وهي تتمتع بالصفات المميزة للصفوة الأولى ولكنها لا تمارس الحكم، وتشكل هاتان الصفوتان الطبقة العليا في المجتمع، أما بقية أفراد المجتمع فيشكلون في نظر باريتو اللاصفوة، وهم لا يمثلون وزنا سياسيا كبيرا.

أما موسكا فقد عبر عن فكرته الأساسية في العبارات التالية: "من بين الحقائق الثابتة التي يمكن أن نلاحظها في الكائنات العضوية السياسية، هناك دائما حقيقة واضحة إلى أبعد حد حتى بالنسبة للعين العارضة، ففي كل المجتمعات ابتداء من تلك التي حققت بالفعل شوطا كبيرا من التقدم ثم شهدت أفولا بعد ذلك حتى تلك التي لا تزال في قمة تقديمها وقوتها طبقتان متميزتان بين الناس طبقة تحكم وأخرى لا تحكم، والطبقة الأولى عادة ما تكون أقل عددا، وأقوى سيطرة على الوظائف السياسية وأشد احتكارا للقوة، فضلا عن تمتعها بالمزايا المصاحبة للقوة، أما الطبقة الثانية فهي الأكثر عددا والخاضعة لتوجيه وتحكم الطبقة الأولى.."

في حين أصر ميتشيلز Robert Michels (1876-1936) على فكرة مفادها أن كل بناء يقتضي بالضرورة وجود قيادة أو قلة من العناصر القيادية بوسعها اتخاذ القرارات ويمكنها السيطرة على الآخرين، الأمر الذي دفعه إلى حد القول بأن كل من يجد تنظيما سوف يعثر على الأوليغاريكية بالضرورة، مشيرا أيضا إلى أن مولد الأقليات الحاكمة واستمراريتها مستقل عن نمط الإنتاج في المجتمع وعن مستوى الصراع الطبقي، مشيرا إلى أن الكفاح من اجل الديمقراطية ليس إلا صراعا بين النخب من اجل السلطة.

3- خصائص النخبة: ما يميز النخب في هذا الصدد هو مجموعة من الخصائص

لكن تبقى أبرز هذه المميزات والخصائص محددة في ثلاث:

- الانسجام من حيث السن والتنشئة والمنحدرات

- الوحدة: تشكل خاصية أساسية على اعتبار أن النخبة السياسية وبغاية الاستمرارية في الحكم تسعى إلى الحفاظ على مصالحها الاقتصادية في ظل الوحدة.

- القلة: في هذا الإطار ما يميز النخبة هو عدم الكثرة.

4- افتراضات اقتراب النخبة: يقوم اقتراب النخبة على مجموعة من الافتراضات

أهمها:

- تبعية الظاهرة السياسية وعدم استقلاليتها: يفترض اقتراب النخبة أن الظاهرة السياسية ظاهرة تابعة لقوى وظواهر أخرى، ولا يمكن فهمها إلا من خلال فهم البنية الاجتماعية القائمة على افتراض هيمنة قلة تمتلك عناصر القوة بمعناها الواسع وتسيطر على الدولة والمجتمع.

- انقسام المجتمع إلى فئتين: تتمثل في أقلية صغيرة تملك النفوذ والقدرة على التأثير في عملية صنع القرارات والسياسات، ويطلق عليها النخبة أو الصفوة، وأكثرية تفتقر إلى مقومات الأقلية مما يجعلها خاضعة لها، وبين هاتين الفئتين توجد علاقات، ونمط هذه العلاقات هو الذي يتحكم في شكل السياسات، وتسود المنافسة والصراع بين هذه الفئات، هذا الصراع هو الذي يحدد محتوى العملية السياسية واتجاهها، واقتراب النخبة لا يعترف بالتقسيم الطبقي، ولا الإثني، ولا الجغرافي أو الدين.

- تركيز القوة في يد أقلية وعدم انتشارها في المجتمع: يرى اقتراب النخبة أن القوة في المجتمع مركزة في جماعة واحدة بعكس التعددية التي تتمسك بتوزع القوة وانتشارها.

- وجود جماعة ثابتة خلف من يملكون السلطة في الدولة: وتتميز هذه الجماعة بصفات معينة تميزها عن غيرها، وتظهر هذه الجماعة نفوذا سياسيا حاسما.

5- مبادئ اقتراب النخبة:

- تبعية الظاهرة السياسية وعدم استقلاليتها: تفترض نظرية النخبة أن الظاهرة السياسية تابعة لقوى وظواهر أخرى، وعليه فإن محاولة تفسير الظاهرة السياسية يستدعي ضرورة البحث في الظواهر المسببة لها، وهذا بحكم اعتبار أن النظام السياسي هو متغير تابع للنظام الاجتماعي ككل، فلا يمكن فهم الظاهرة السياسية إلا من خلال فهم البنية الاجتماعية القائمة على افتراض هيمنة الأقلية الحاكمة على المجتمع.

- انقسام المجتمع إلى فئتين: أقلية تمتلك قدرا كبيرا من النفوذ والتأثير في عملية صنع القرار، وأغلبية تفتقر لعناصر التأثير التي تمتلكها النخبة، حيث تقوم علاقات بين هاذين الفئتين تختلف تبعا لكل موقف.

- تركيز القوة في يد الأقلية وعدم انتشارها في المجتمع: فامتلاك القوة هو ما يفرق بين النخبة والجمهير سواء كانت هذه القوة: ثروة، سلطة، مال، نفوذ...

- إن خلف من يملكون زمام السلطة في الدولة توجد جماعة ثابتة ومتميزة.

6- اتجاهات دراسة النخبة: رغم أن معظم رواد هذا المنهج ومنهم سان سيمون، موسكا، وباريتو يتفقون على أن كل مجتمع تحكمه نخبة، إلا أنهم يختلفون في تصورهم للأساس الذي تقوم عليه، لذلك هناك أربعة اتجاهات متباينة في دراسة النخبة أهمها:

- الاتجاه الأول: تنظيمي: ويقف على رأس مبدعيه موسكا وميشلز، اللذان أرجعا قوة النخبة إلى قدراتها التنظيمية الفائقة،

- الاتجاه الثاني: نفسي: ورائده باريتو ويرى أن أفراد النخبة متفوقون على بقية الناس في السمات النفسية والذكاء العقلي.

- الاتجاه الثالث: اقتصادي: ومن أهم رواده بيرنهام؛ الذي يؤكد على أن من يسيطر على وسائل الإنتاج أو يديرها هو من له الغلبة.

- الاتجاه الرابع: مؤسسي: ومن أبرز المتحمسين له ميلز، الذي يعتقد أن القوة تكمن في وجود منظمات رئيسية في المجتمع تتدرج في المكانة، ومن يجلسون على رأسها أو يتولون مناصب عليا بها هم "نخبة القوة" المتحكمة.

7- تحديد النخبة وتحليلها: تقتضي تحديد النخبة ودراستها تناول مسائل عدة أهمها:

أ- أساليب التعرف على النخبة: ومن تلك الأساليب؛ أسلوب المناصب، وأسلوب الشهرة، وأسلوب صنع القرار.

- أسلوب المناصب: يعني أن أولئك الذين يتصدرون المناصب العليا في المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإعلامية والعسكرية هم الذين يشكلون نخبة ذلك المجتمع وأصحاب القوة والقرار فيه.

- أسلوب الشهرة: ويعني أن الناس الذين يشتهرون بأنهم أصحاب القوة والقرار والنفوذ في المجتمع، أولئك هم صفوة المجتمع، ويمكن ترتيبهم حسب المتخصصين ضمن قوائم وفق مقاييس معينة، كالقوة، الثروة، النفوذ.

- أسلوب صنع القرار: معرفة الصفة تتوقف على معرفة المشاركين في صناعة القرارات الهامة في المجتمع، ومن ثم لا بد من تحديد القرارات الهامة، وتحديد المشاركين فيها لمعرفة أصحاب القوة والقرار والنفوذ في المجتمع.

ب- **تكوين النخبة:** بمعنى كيف تتكون النخبة؟، وهل يتوقف دخول شخص للنخبة على حصوله على مهنة ما، أو مكانة اقتصادية أو اجتماعية، أو شهادة أو انتماء ديني أو عرقي، أم لا علاقة لتلك العوامل بهذا الدخول؟

ج- **تجنيد النخبة:** أي ما هي المسالك والقنوات التي يسلكها الطامحون إلى القيادة في الوصول إلى قمة الهرم السياسي؟ هل هي الحزب أم النقابة أم التنظيمات الدينية أم الحكم المحلي أم البيروقراطي... الخ؟ وما هي الآليات للوصول لتلك الغاية: هل هي الانتخاب أم التعيين، وإذا كان الأسلوب الأخير فهل يقيم على الكفاءة أم الولاء والانتماء.

د- **الثقافة السياسية للنخبة:** أي دراسة تصورات أعضاء النخبة وقيمهم واتجاهاتهم، وما إلى ذلك.

هـ- **تكامل النخبة:** أي قياس درجة التماسك والتفاعل، الاتفاق والتضامن والإحساس المتبادل بالثقة بين أعضاء النخبة.

8- **أنواع النخب:** تتباين النخب استناداً على المعيار الذي يستند عليه، فنجد مثلاً نخب سياسية، اقتصادية، ثقافية وعسكرية...، وهذا التصنيف يبرز خصوصية كل نوع على النحو التالي:

- النخب السياسية: هي التي تهدف لتحقيق الأهداف العامة أو المصلحة العامة.

- النخب الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية: هي التي تهدف لتحقيق التكيف مع البيئة المحيطة.

- النخب الثقافية: وهي التي تهدف لتحقيق التكامل المجتمعي عبر تكريس الوحدة المعنوية والنفسية للمجتمع.

وفي تصنيف آخر للنخب السياسية، فإن "باريتو" يصنف النخبة إلى صنفين: حاکمة وهي النخبة وغير حاکمة أو غير النخبة وهي المتمثلة في عامة الناس، وأبرز "باريتو" مسألة دورة النخبة التي تتم بناءً على إحلال نخبة محل أخرى أو صعود أفراد من الطبقات الدنيا إلى النخبة الحاكمة وذلك من خلال التحولات التي تطرأ على الخصائص النفسية

لأعضاء النخبة أو فسادها، فالمجتمع يفرز في كل مرحلة نخبة تعبر عن المصالح المهيمنة أو الغالبة في المجتمع.

أما "كارل دويتش" فيصنف النخبة إلى ثلاثة أصناف استنادا على المستوى الذي تتواجد فيه وعليه قسمها إلى: النخبة العليا، النخبة الوسطى والنخبة الهامشية.

9- إقترابات دراسة النخبة: على اعتبار أن النخبة تصلح كإقتراب لدراسة الظاهرة السياسية، غير أن تحديد النخبة وتحليلها يحتاج بدوره لمجموعة من الإقترابات، التي تساعد الباحثين على التعرف على النخبة، ومن هذه الإقترابات نجد:

- إقتراب المناصب: حيث أن النخبة تتشكل من أصحاب المناصب العليا في المؤسسات السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الإعلامية والعسكرية...، وعليه فإن تحديد النخبة يتطلب معرفة المناصب الهامة، وما يعاب على هذا الإقتراب هو أن العديد من أصحاب المناصب العليا لا يكونون سوى واجهة ذات تأثير شكلي فقط، بحكم خضوعهم لفاعلين آخرين قد لا يبرزون علنا.

- إقتراب السمعة: حيث أن السمعة والشهرة الممنوحة للفئات التي تجعل منهم صفوة المجتمع وأصحاب النفوذ هو ما يجعلهم نخبة، غير أن ما يعاب على هذا الإقتراب هو احتمالية الوقوع في الذاتية لتقدير هذه السمعة.

- إقتراب صنع القرار: يرى بأن النخبة تقتصر على الفاعلين في صنع القرارات الهامة في المجتمع، غير أن ما يعاب على هذا الإقتراب هو إهماله لدور الرأي العام في صنع القرار، وكذا إهمال دور الفاعلين غير الرسميين.

- إقتراب المدخلات والمخرجات: وبذلك فإن النخبة تتمثل في الفئات التي تساهم في مدخلات صنع القرار عبر تحديد الموضوعات التي يواجهها النظام السياسي، إلى جانب الفاعلين في مجال مخرجات النظام السياسي والممثلة في صناع القرار.

10- تقييم إقتراب النخبة: رغم أن إقتراب النخب يساعد على فهم أعمق للسلوك السياسي في كل النظم السياسية من خلال تحليل النخب الحاكمة. إلا أن هذا الإقتراب تعرض لمجموعة من الانتقادات أهمها:

- صعوبة تحديد أعضاء النخبة، وجمع المعلومات عنهم، فالدراسات التي تعتمد على إقتراب النخبة تكتفي بتناول مجموعة معينة هي النخبة التي تمتلك القدرة على التأثير والنفوذ، دون إثبات أنها قد استخدمتها فعلا.

- تعدد المفاهيم المستخدمة لدى أنصار النخبة، من مثل النخبة، السلطة، الطبقة السياسية، النفوذ، مما أثر على الدقة العلمية، صعب من عملية بناء النظريات.
- اقتراب النخبة لا يهتم بالمخرجات (السياسات والقرارات)، بقدر ما يهتم بطبيعة النخب الحاكمة.

- المراجع:

- بومدين طاشمة، الأساس في منهجية تحليل النظم السياسية، ط1، الجزائر، دار الأمة، 2013.

- طه حميد حسن العنبيكي، ونرجس حسين زاير العقابي، أصول البحث العلمي في العلوم السياسية، ط1، العراق: دار أوما، 2015.

- محمد شلبي، المنهجية في التحليل السياسي، دون طبعة، الجزائر، دار هومة، 2002.

- دالع وهيبة، مطبوعة في منهجية البحث في العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، السنة الجامعية، 2021/2020.